بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٤٦ -

جَرِيرُ بنُ عَبْدِ اللهِ البَجَليُّ

رضي الله عنه

هُوَ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ بن جَابِرٍ بن مَالِكٍ بن نَصْرٍ بن ثَعْلَبَةَ بن جُشَمٍ بن عَوْفٍ. مِنْ قَبِيلَةِ بَجِيلَةَ اليَمَانِيَّةِ المَعْرُوفَةِ، وَبَجِيلَةُ مِنْ قَسْرٍ، وَقَسْرُ مِنْ قَحْطَانَ.

وَمَا تُذْكَرُ بَجِيلَةُ إِلاَّ وَيُذْكَرُ جَرِيرُ فَهُوَ أَشْهَرُ رِجَالِهَا فِي صَدْرِ الإِسْلاَمِ، وَأَبْرَزُ الصَّحَابَةِ فِيهَا، وهُوَ سَيِّدُهَا أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمَا يُذْكَرُ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ، إِلاَّ وَيُذْكَرُ الحُسْنُ وَالجَمَالُ، يَقُولُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ: مَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَحْسَنَ مِنْ هَذَا إِلاَّ مَا بَلَغَنَا عَنْ صُورَةِ يُوسُفَ.

أَسْلَمَ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ العَاشِرَةِ أَيْ قُبَيْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ، وَقَدِمَ المَدِينَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، يَخْطُبُ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ: لَمَّا دَنَوْتُ مِنَ المَدِينَةِ، أَنَخْتُ رَاحِلَتِي، وَحَلَلْتُ عَيْبَتِي، وَلَبِسْتُ حُلَّتِي

ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَخْطُبُ، فَرَمَانِي النَّاسُ بِالحَدَقِ. فَقُلْتُ لِجَلِيسِي: يَا عَبْدَاللَّهِ، هَلْ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ أَمْرِي شَيْئاً؟ قَالَ: نَعَمْ، ذَكَرَكَ بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ، بَيْنَمَا هُوَ يَخْطُبُ، إِذْ عَرَضَ لَهُ فِي خُطْبَتِهِ فَقَالَ: «إِنَّهُ سَيَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الفجِّ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ، أَلاَ وَإِنَّ عَلَى وَجْهِهِ مِسْحَةُ مَلَكٍ». قَالَ: فَحَمَدْتُ اللَّهَ[1].

وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: مَا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي وَقَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا البَابِ رَجُل مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ، عَلَى وَجهِهِ مِسْحَةُ مَلَكٍ»[2].

وَلَمَّا جَاءَ جَرِيرٌ إِلَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ مَعَهُ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَسْلَمُوا جَمِيعاً. وَعِنْدَمَا دَخَلَ جَرِيرُ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلْقَى لَهُ وِسَادَةً، فَجَلَسَ عَلَى الأَرْضِ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) مسند أحمد ٤/ ٣٦٤، ٤/ ٣٥٩ و ٤/ ٣٦٠ وأخرجه الطبراني برقم(٢٤٨٣).

(٢) أخرجه البخاري ٧/ ٩٩، ومسلم ٢٤٧٥، وأخرجه الحميدي في مسنده رقم (٨٠٠).

وَسَلَّمَ: «أَشْهَدُ أَنَّكَ لاَ تَبْغِي عُلُـوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَـاداً» فَأَسْلَمَ. ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ: «إِذَا أَتَـاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ»[1].

وَعَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ، فَضَنَّ النَّاسُ بِمَجَالِسِهِـمْ، فَلَمْ يُوسِعْ لَهُ أَحَدٌ، فَرَمَى إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِبُرْدَةٍ كَانَتْ مَعَهُ حَبَاهُ بِهَا، وَقَـالَ: «دُونَكَـهَـا يَا أَبَـا عَمْرٍو»، فَاجْلِسْ عَلَيْهَا. فَتَلَقَّاهَا فِي صَدْرِهِ وَنَحْـرِهِ، وَقَـالَ: أَكْرَمَكَ اللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمَا أَكْرَمْتَنِي.

وَرَوَى مَا يَقْرُبُ مِنْ مِائَةِ حَدِيثٍ، اتَّفَقَ الشَّيْخَانِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَانْفَـرَدَ البُخَـارِيُّ بِحَـدِيثَيْنِ، وَمُسْلِـمٌ بِسِتَّـةِ أَحَادِيثَ.

وَرَوَى جَرِيرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، قَالَ لَـهُ: «أَلاَ تُرِيحُنِـي مِنْ ذِي الخَلَصَـةِ ـ بَيْتُ خَثْعَمَ». وَكَانَ يُسَمَّى الكَعْبَةَ اليَمَانِيَّة. قَالَ جَرِيرٌ: فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ. فَخَرَّبْنَـاهُ أَوْ حَرَّقْنَـاهُ

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٧١٢) وابن خزيمة (٢٢٦٦) والطبراني (٢٣٥٥).

حَتَّى تَرَكْنَاهُ كَالجَمَلِ الأَجْرَبِ. وَبَعَثَ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُبَشِّرُهُ، فَبَـرَّكَ عَلَـى خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَـا خَمْسَ مَرَّاتٍ.

وَقَالَ جَرِيرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَجُلٌ لاَ أَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيّاً».

قَالَ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ: كُنْتُ عِنْدَ عُمَرَ، فَتَنَفَّسَ رَجُلٌ ـ يَعْنِي: أَحْدَثَ ـ فَقَالَ عُمَرُ: عَزَمْتُ عَلَى صَاحِبِ هَذِهِ، لَمَا قَامَ، فَتَوَضَّأَ. فَقَالَ جَرِيرٌ: اعْزِمْ عَلَيْنَا جَمِيعاً. فَقَالَ: عَزَمْتُ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ، لَمَا قُمْنَا. فَتَوَضَّأْنَا، ثُمَّ صَلَّيْنَا فَقَالَ عُمَرُ بَعْدَهَا: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، نِعْمَ السَّيِّدُ كُنْتَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَنِعْمَ السَّيِّدُ كُنْتَ فِي الإِسْلاَمِ.

فِي الجِهَادِ:

كَانَتِ الجَبْهَـةُ الشَّـرْقِيَّةُ مَيْدَانَ جِهَـادِ جَرِيرِ بـنِ عَبْدِاللَّـهِ البَجَلِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَبَعْدَ مَعْرَكَةِ الجِسْرِ الَّتِـي اسْتُشْهِـدَ فِيهَا أَبُو عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ أَرْسَلَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ مَدَداً إِلَى المُثَنَّى فِيهِمْ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ فِي قَوْمِهِ بَجِيلَةَ كُلِّهَا. وَكَانَ

المُثَنَّى يَعُدُّ نَفْسَهُ الأَمِيرَ وَأَنَّ جَرِيراً قَدْ جاءَهُ مَدَداً، أَمّا جَرِيرُ فَيَعُدُّ نَفْسَهُ أَنَّهُ الأَمِيرُ، وَمَا بُعِثَ إِلاَّ أَمِيراً.

وَجَرَتْ مَعْرَكَةُ (البُوَيْبِ) الَّتِي ثَأَرَ فِيهَا المُسْلِمُونَ مِنَ الفُرْسِ لِمَعْرَكَةِ الجِسْرِ، وَكَانَتْ بِقِيَادَةِ المُثَنَّى، وَقَدْ تَمَكَّنَ المُنْذِرُ بنُ حَسَّانَ بن ضِرَارٍ الضَّبِّيُّ مِنْ طَعْنِ قَائِدِ الفُرْسِ (مِهْرَانَ)، وَأَسْرَعَ جَرِيرٌ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ، وَتَقَاسَمَ الاثْنَانِ سَلَبَ (مِهْرَانَ) فَأَخَذَ جَرِيرٌ سِلاَحَهُ، وَأَخَذَ المُنْذِرُ بنُ حَسَّانَ مَنْطَقَتَهُ.

وَبَعَثَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ أَمِيراً وَطَلَبَ مِنَ المُثَنَّى وَجَرِيرٍ أَنْ يَكُونَا تَبَعاً لَهُ، وَأَنْ يَسْمَعَا لَهُ وَيُطِيعَا.

وَفِي القَادِسِيَّةِ كَانَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ مَرِيضاً فَبَقِيَ فِي القَصْرِ، يُطِلُّ عَلَى المُجَاهِدِينَ، وَيُشْرِفُ عَلَى سَيْرِ المَعْرَكَةِ، وَيُوجِّهُ القِتَالَ، وَقَدْ أَوْكَلَ أَمْرَ القِتَالِ إِلَى خَالِدِ بن عُرْفَطَةَ، وَكَانَ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ عَلَى المَيْمَنَةِ، وَقَيْسُ بنُ مَكْشُوحٍ عَلَى المَيْسَرَةِ، وَقَدْ أَبْلَى جَرِيرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلاَءً حَسَناً، وَأَبْلَتْ قَبِيلَتُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ وَقَدِ اعْتَرَتْهُ سَاعَةٌ مِنَ الفَخْرِ فِي نَشْوَةِ الظَّفَرِ.

أَنَــا جَرِيرٌ كِنْيَتِــي أَبُــو عَمْرِو
قَــدْ فَتَــحَ اللَّــهُ وَسَعْــدُ فِي القَصْرِ

فَأَشْرَفَ سَعْدٌ مِنْ قَصْرِهِ وَقَالَ :

وَمَــا أَرْجُــو بَجِيلَــةَ غَيْرَ أَنِّي
أُؤَمِّــلُ أَجْرَهَــا يَوْمَ الحِسَابِ
فَقَــدْ لَقِيَتْ خُيُولُهُــمُ خُيُولاً
وَقَــدْ وَقَــعَ الفَــوَارِسُ فِي الضِّرَابِ
وَقَــدْ دَلَفَــتْ بِعَرْصَتِهِــمْ خُيُول
كَأَنَّ زَهَاءَهَــا إِبْــلُ الجِرَابِ
فَلَــوْلاَ جَمْــعُ قَعْقَــاعِ بنِ عَمْرُوٍ
وَحَمَّــالِ[١] لَلجُّــوا فِي الرِّكَابِ
وَلَــوْلاَ ذَاكَ أَلْفَيْتُــمْ رِعَاعَاً
تَسِيلُ جُمُوعُــكُمْ مِثْــلَ الذُّبَابِ

وَكَانَ الفُرْسُ قَدْ وَجَّهُوا لِلْجِهَةِ الَّتِي فِيهَا بَجِيلَةَ سِتَّةَ عشَـرَ فِيلاً، وَجَعَلُوا يُلْقُـونَ تَحْـتَ أَرْجُـلِ خُيُول بَجِيلَـةَ حَسَـكَ الحَدِيدِ، وَيُصْلُونَهُمْ بِوَابِلٍ مِنَ النَّبْـلِ ، وَكَانَ عَمْـرُو بنُ مَعْـدِ

(١) حمّال بن مالك الأسدي .

يكْرُبٍ الزَّبِيدِيُّ الفَارِسُ المَشْهُورُ يَمُرُّ بِبَجِيلَةَ وَيَقُولُ: يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ، كُونُوا أُسُوداً فَإِنَّمَا الفَارِسيُّ تَيْسٌ.

وَطَلَبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ مِنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنْ يَبْعَثَ جَيْشاً كَثِيفاً إِلَى الأَهْوَازِ بِقِيَادَةِ النُّعْمَانِ بنِ مُقَرِّنٍ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ فِي عَدَادِهِ بَعْضُ الأُمَرَاءِ الشُّجْعَانِ، وَعَدَّدَ بَعْضَهُمْ وَعَلَى رَأْسِهِمْ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ البَجَلِيُّ، وَهكَذَا شَهِدَتْ سَاحَاتُ الجَبْهَةِ الشَّرْقِيَّةِ تَحَرُّكَاتِهِ وانْتِقَالِهِ مِنْ مَيْدَانِ جِهَادٍ إِلَى آخَرَ وَخَلَّفَتْ عَلَى أَرْضِهَا كَثِيراً مِنْ آثَارِهِ فَقَدْ رَوَّى تُرْبَتَها بِدِمَاءِ قَتْلاَهُ وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ فَقَدْ نَزَفَتْ جِرَاحُهُ دَماً مِعْطَاراً.

وَاجْتَمَعَ الفُرْسُ فِي نَهَاوَنْدَ فَسَارَ إِلَيْهِمُ المُسْلِمُونَ بِأَمْرٍ مِنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، سَارَ المُسْلِمُونَ مِنَ الكُوفَةِ بِإِمْرَةِ حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ، وَسَارُوا مِنَ البَصْرَةِ بِإِمْرَةِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، وَجَاءَتِ الأَوَامِرُ بِأَنْ يَكُونَ القَائِدُ العَامُّ النُّعْمَانُ بنُ مُقَرِّنٍ، وَكَانَ بِالبَصْرَةِ. كَمَا نَصَّتِ الأَوَامِرُ أَنْ يَكُونَ حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ الأَمِيرَ إِنْ أُصِيبَ النُّعْمَانُ، فَإِنْ أُصِيبَ حُذَيْفَةُ فَالأَمِيرُ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ البَجَلِيُّ، فَقَيْسُ بنُ مَكْشُوحٍ ، وَعَدَّدَ سَبْعَةَ أُمَرَاء يَتَوَالُونَ وَمِنْهُمْ: أَبُو مُوسَى

الأَشْعَرِيُّ، وَالمُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ، وَنُعَيمُ بـنُ مُقَـرِّنٍ. وَانْتَصَـرَ المُسْلِمُونَ نَصْرَاً عَظِيماً حَتَّى عُرِفَتْ نَهَاوَنْدُ بِفَتْحِ الفُتُوحِ.

وَبَقِيَ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ البَجَلِيُّ فِي جِهَادِهِ فِي تِلْكَ الجَبْهَةِ حَتَّى خَفَّتْ مَوْجَةُ الفُتُوحِ، وَشُغِلَ المُسْلِمُونَ بِأَنْفُسِهِمْ. فَأَقَامَ جَرِيرُ بِالكُوفَـةِ، ثُمَّ سَكَنَ قَرْقِيسِيَاءَ[1]، وَأَخِيرَاً انْتَقَـلَ إِلَـى الشَّرَاةِ حَيْثُ تُوُفِّيَ هُنَاكَ.

وَعِنْدَمَا وَقَعَ الخِلاَفُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ اعْتَزَلَ جَرِيرُ الفِتْنَـةَ، وَيَقُولُ: بَعَـثَ عَلِيُّ إِلَـيَّ ابـنَ عَبَّـاسٍ، وَالأَشْعَـثَ، وَأَنَـا بِقَرْقِيسِيَاءَ فَقَالاَ: أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ يُقْرِئَكَ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ: نِعْمَ مَا رَأَيْتَ مِنْ مُفَارَقَتِكَ مُعَاوِيَةَ، وَإِنِّي أُنْـزِلُكَ بِمَنْزِلَـةِ رَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّتِي أَنْزَلَكَهَا. فَقَالَ جَرِيرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَنِي إِلَى اليَمَنِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ، فَإِذَا قَالُـوا، حَرُمَـتْ دِمَاؤُهُـمْ وَأَمْوَالُهُمْ. فَلاَ أُقَاتِلُ مَنْ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ.

وَطَلَبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ جَرِيرٍ أَنْ يَسِيرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَيَطْلُبُ مِنْهُ المُبَايَعَةَ، فَيَقُولُ جَرِيرُ: بَعَثَنِي عَلِـيُّ

---

(١) قرقيسياء: مدينة على نهر الفرات عند مصب نهر الخابور عليه تقريباً.

إِلَى مُعَاوِيَةَ يَأْمُرُهُ بِالمُبَايَعَةِ، فَخَرَجْتُ لاَ أَرَى أَحَداً سَبَقَنِي إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ يَخْطُبُ، وَالنَّاسُ يَبْكُونَ حَوْلَ قَمِيصِ عُثْمَانَ، وَهُوَ مُعَلَّقٌ فِي رُمْحٍ.

وَبَقِيَ جَرِيرُ مَعْتَزِلاً لِعَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ بِالجَزِيرَةِ وَنَوَاحِيهَا حَتَّى تُوُفِّيَ بِالشَّرَاةِ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ[1]، فِي أَيَّامِ وِلاَيَةِ الضَحَّاكِ بنِ قَيْسٍ عَلَى الكُوفَةِ زَمَنَ خِلاَفَةِ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ.

وَلَهُ مِنَ الأَوْلاَدِ: عَمْرُو، والمُنْذِرُ، وَعَبْدُاللَّهِ، وَأَيُّوبُ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَلَمْ يُدْرِكْ إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ، وَعُرِفَ مِنْ أَحْفَادِهِ أَبُو زُرْعَةَ بنُ عَمْرِو بنِ جَرِيرٍ.

كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَحَدَ بُنَاةِ دَوْلَةِ الإِسْلاَمِ بِمَا ضَحَّى وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَبِمَا كَانَ لَهُ مِنْ دَوْرٍ فِي الفُتُوحِ.

---

(١) هناك خلاف في الروايات في سنة وفاته بين إحدى وخمسين، وأربع وخمسين.